الاحتلال الروماني لمملكة موريطانيا

نصيرة ساحير
أستاذة محاضرة
المدرسة العليا للأساتذة (بوزريعة)

لقد اتضحت معالم وجود مملكة موريطانيا في أواخر القرن الثالث قبل الميلاد [1](تمثل حالياأراضي منطقة الم غرب الأقصى تقريبا) كان على رأسها ملك موريطاني يدعى باغا Baga الذي قدّم لماسينيسا عند دخوله من اسبانيا موكبا من الجنود يتألف من أربعة آلاف جندي لمرافقته إلى غاية حدود مملكته، وذلك خلال الحرب البونية الثانية.

وبعد هذه الأخبار لا نعلم شيئا عن مملكة موريطانيا لمدة قرن من الزمن ، ذلك أن النصوص القديمة التي أوردت لنا أخبارا عن موريطانيا هي إما إغريقية وإما رومانية، ولا تمدنا إلا بالمعلومات التي لها علاقة بتاريخها خاصة المتعلقة بالأحداث الخاصة بصراعات روما في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط ، والتي كان لها تأثيرا مباشرا على إفريقيا ومنها موريطانيا نظرا للدور الذي لعبته في تلك الأحداث.وبعد مرور قرن من الزمن تقريبا ذكرا لكاتب الرومانيسالوستيوس Salluste أخبارا عن مملكة موريطانيا في كتابه " حرب يوغورطة Bellum Jugurthanum" حيث نجده قد أتى على سيرة الملك الذي يدعى بوخوس الأول صهر يوغورطة(ملك نوميديا) الذي كان تحت إمارته كل المور[2]

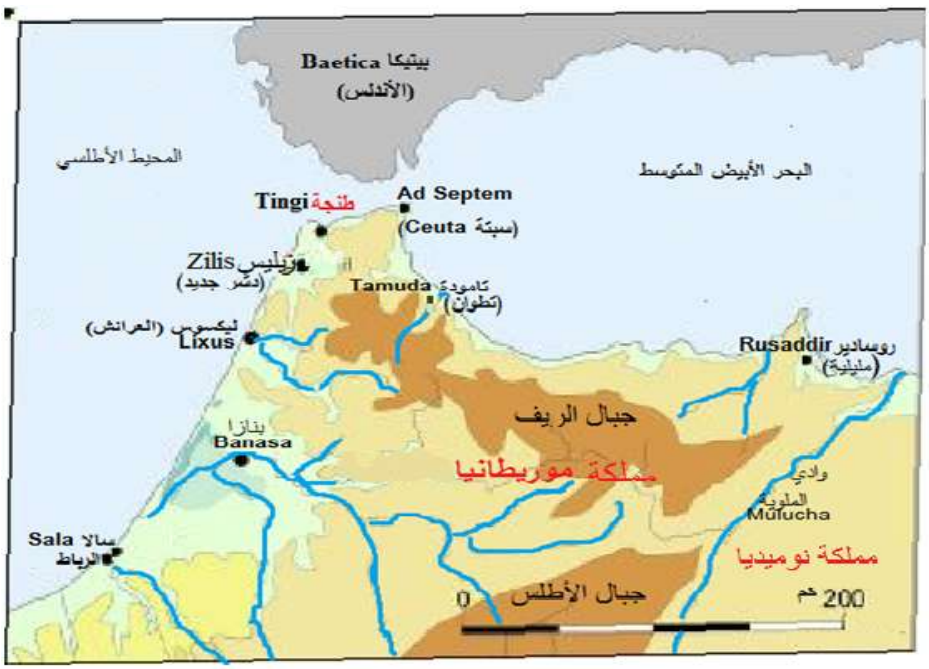

يعتبر وادي الملوية Mulucha حدا بين ممتلكات ملك المور ويوغورطةالذي كان يحكم الجيتول والنوميد[3]ولكن هذا الحد تغير بعد انهزام يوغورطة سنة 105 ق .م، وتحصل بذلك بوخوس الأول على جزء من ممتلكات يوغورطة جزاء خيانته لهذا الأخير وأصبحت مملكته تمتد من المحيط الأطلنطي غربا إلى غاية صالداي Saldae(بجاية)شرقا[4].

ويذكر كاركوبينو Carcopinoأن بوخوس Bocchus توفي سنة 80 م تاركا ولدان على عرش موريطانيا هما بوغود Bogud الذي حكم موريطانيا الغربية(المغرب الأقصى) [5]،و بوخوس الثاني ملك موريطانيا الشرقية التي عرفت امتدادا على حساب جارتها نوميديا، وصلت بذلك إلي غاية وادي الأمبساغاAmpsaga (الوادي الكبير بجيجل) شرقا، وذلك جزاء الخدمات التي قدمها بوخوس الثاني ليوليوس قيصر ضد يوبا الأول، الذي فقد مملكته نوميديا حين تحولت إلى مقاطعة رومانية (أفريكانوفاAfrica Nova) بعد انهزامه في معركة تابسوس سنة 46 ق.م[6].

و كما كان الصراع الروماني الأخير بين أنطونيوس AntoniusوأكتافيوسOctavius سببا في وقوع الصدام بين الموريطانيين،و كان لكل منها اتجاه مختلف عن الأخرى فنجد موريطانيا الغربية بقيادة الملك بوغودانحازت إلى جانب أنطونيوس و موريطانيا الشرقية بقيادة الملك بوخوس الثاني إلى جانب أكتافيوس،و بعد انتصار هذا الأخير كافأ بوخوس الثاني و ذلك بمنحه سنة 38ق.م ممتلكات بوغود، فأصبحت بذلك مملكة بوخوس الثاني تمتد من المحيط الأطلنطي غربا إلى غاية الواديالكبير شرقا [7]ما عدا طنجة التي تحصلت على حق المدينة الرومانية لوقوفها ضد الملك بوغود سنة 38 ق.م[8].

يمكننا أن نقول إن الصراعات الأهلية التي عرفتها روما في أواخر عهد الجمهورية قد لعبت دورا هاما في تهيئة الظروف الملائمة للسيطرة على مملكة موريطانيا و تعرف بذلك مصيرا مماثلا كجارتها نوميديا سنة 46 ق.م و يدخل ذلك ضمن سياسة التدرج في الاحتلال الذي سارت عليه روما في شمال إفريقيا[9].

و عند وفاة بوخوس الثاني سنة 33 ق.م ورث أكتافيوس مملكته بدعوى لانعدام الوريث الشرعي لها، وعين عليها واليين لتسيير شؤونها.و كما أسس بها عددا هائلا من المستعمرات الرومانية في مناطق هامة من موريطانيا،وذلك فيما بين السنوات (33 - 25 ق.م) بحيث كافأ بها جنوده الذين بفضلهم أحرز انتصارات هامة على خصومه الأنطوانيين [10]،فنجد بذلك ثلاث مستعمرات في موريطانيا الغربية(المغرب الأقصى) وهي على التوالي – زيليس zilis (دشر جديد) التي تقع بين طنجة Tingi و ليكسوسlixus (العرائش) و بابا babba لم يتم بعد العثور على موقعها و أخيرا نجد بنازا Banasa(سيدي علي بوجنون) على الضفة اليسرى لوادي سبو Sebou(بمنطقة سهل الغربRharb)[11].

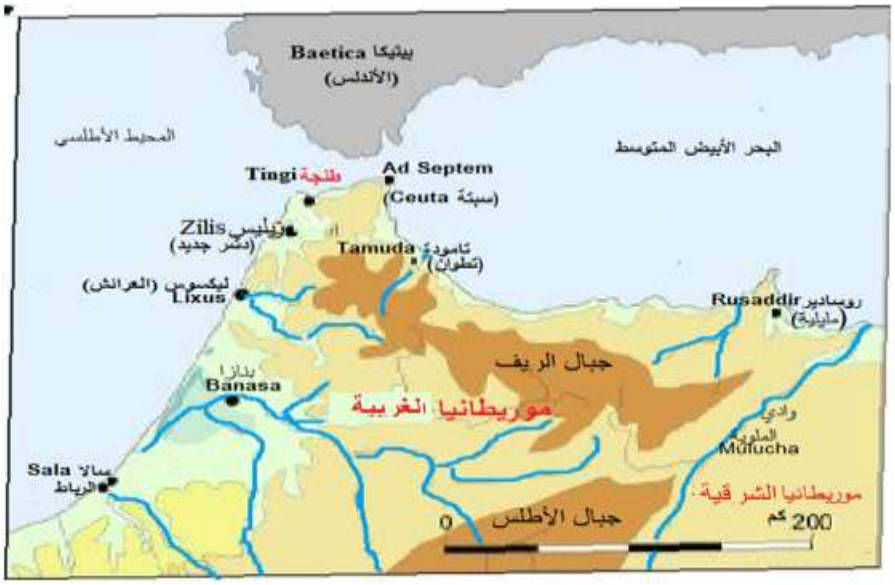

أما بالنسبة لموريطانيا الشرقية فقد أسس بها أكتافيوس ست مستعمرات تنتشر على طول الساحل وهي:إيجيلجيليIgiligili(جيجل) ،صالداي Saldae(بجاية) روزازوس Rusasus(ميناء فيدون بأزفون) وروزوكورو rusucuru(دلس)،إضافة إلى قونوقو Gunugu(قوراية غرب شرشال) و كرطنة (cartennae (تنس)[12]، و إلى جانب هذا العدد نجد ثلاث مستعمرات بالداخل و هي: توبوسوبتو Tubusuptu(تيكلات التي تقع جنوب غرب بجاية) و مياه كاليداي AquaeCalidae(حمام ريغا) و روشابار Ruchabar(مليانة)[13]و تعتبر كل هذه المستعمرات تمهيدا للإستيطان الروماني بمملكة موريطانيا.

و كما تنبئ بإلحاق البلاد بالحكم الروماني،وإن رجع أكتافيوس عن ذلك بعد حصوله على لقب الامبراطور "أغسطس Augustus"سنة 27 ق.م و عمل على تعيين يوبا الثاني ملكا على موريطانيا سنة 25 ق.م و هو كما نعلم بعد هزيمة أبيهيوبا الأول في معركة تابسوس سنة 46 ق.م نقل إلى روما كأسير ليعرض في موكب نصر قيصر و هو ما يزال طفلا [14]و قد تلقى هناك تربية جيدة في وسط ثقافي هام[15]،و هو ما يفسر اهتماماته الكبيرة بالفنون و الآداب و العلوم بعد حصوله على التاج الموريطاني، و قد حول الوجه الحضاري لعدة مدن من مملكته من بينها خاصة عاصمته قيصرية Caesarae(شرشال)، و كما قام بعدة أبحاث علمية ميدانية و تأليف عدة كتب في مختلف الموضوعات.

لقد نال يوبا الثاني ثقة أكتافيوس أغسطس لما أبداه من إخلاص لروما [16]فمنحه مملكة مترامية الأطراف تمتد من المحيط الأطلنطي غربا إلى غاية الأمساغا (الوادي الكبير بجيجل) شرقا بعدما أسس بها فيما بين السنوات (33 –25 ق.م) عددا من المستعمرات الرومانية، و التي يفهم من كاركوبينو [17] أنها لم تكن تحت سلطة يوبا الثاني، و إنما كانت تابعة للمقاطعات الرومانية المجاورة مثل زيليس Zilis(دشر جديد)

(جنوب إسبانيا). على أن منح يوبا الثاني لقب " الملك على Baeticaالتي كانت تابعة لمقاطعة بيتيكا موريطانيا " يدخل في السياق العام لسياسة أغسطس الذي زادت أعباءه في الشرق والغرب، فلجأ إلى هذا الأسلوب الذي يوفر على روما الجنود والمصاريف و خاصة أن الحرب التي خاضها ضد خصمه أنطونيوس وكليوباترا السابعة ملكة مصر قد أنهكت قواه[18]، وبالتالي فقد فضل أغسطس تطبيق نظام الحماية على حد تعبير بعض المؤرخين[19]لأن هذا النظام أقل كلفة من عملية الضم المباشرة، وهو فضلا عن ذلك يقدم لروما الفوائد التي تجنيها من عملية الضم المباشرة ولكن هذه المرة دون أعبائها .

وذلك ما يفسر رد فعل الأهالي الذي كان قويا ضد حكم يوبا الثاني، لقد ورد عند ديون [20]أن قبائل الجيتول ثارت ضد الملك يوبا الثاني وعاثت فسادا في الأقاليم المجاورة Dion Cassiusكاسيوس لها ، وقتلت عدة قادة من الرومان الذين عارضوها، وذلك سنة 6 م، ونفهم من ذلك أن الانتفاضة هذه قامت ضد الرومان وسياسة يوبا الثاني الذي لم يكن في نظر رعاياه سوى وسيلة لتمهيد المنطقة للاستيطان الروماني[21].

(بمنطقة الأوراس) بقيادة تكفاريناس Musulamaeوكما مرت أخبار أخرى عن تمرد قبائل الموزولام الذي انضمت إليه قبائل المور بالمغرب الأقصى والغرامنتبمنطقة فزان بليبيا،وذلك فيما بين السنوات (17- 24Tacite م) لقد كانت ثورة عنيفةعلى ما يذكر المؤرخ الروماني تاكيتوس [22] في كتابه الحوليات، بحيث تطلبت عملية إخمادها عدة قادة من الرومان على التوالي، و كما كان للملك يوبا الثاني [23]و ابنه بطليموس من بعده فضلا في ذلك نظرا للإمدادات العسكرية التي قدماها للجيش الروماني لسحق ثورة تكفاريناس وكانت المكافأة بعد القضاء على هذا التمرد سنة 24 م أن قدم وفد من مجلس الشيوخ ليمنح بطليموس عصا من العاج وحلة رومانية مطرزة، وكما منحه لقب الملك الصديق والحليف [24]أثناء هايوبا الثاني انتقل إلى عالم الأموات في نهاية سنة 23 أو بداية 24 م)[25].

وهكذا فقد خلف بطليموس [26]أباه في حكم مملكة موريطانيا المترامية الأطراف، ولقد واصل سياسته إزاء روما، ولكنه خالفه في أمور كثيرة، إذ لم تكن له شهرة أبيه، خاصة فيما يخص شهرته العلمية، بل نجده منغمسا تحت سيطرة المعتقين الذين لم يتركوا له سوى مظاهر الملك [27]. لقد كانت نهاية الملك بطليموس بعد ما اعتلى عرش الإمبراطورية الرومانية Caligulaمأساة في تاريخ موريطانيا، بحيث نجد أن كاليغولا سنة 37 م دعا بطليموس إلى حضور احتفالاته وقد استقبله بكرم وحفاوة كبيرة على ما يذكر الكاتب [28]،ثم سجنه و أصدر أمرا بقتله ولقد تم ذلك سنة 40 م، وذلك استنادا Suetoneالروماني سويتونيوس

لنص ديون كاسيوس، وبذلك نقول أن سنة 40 م تعتبر آخر سنة تسك فيها نقودا تحمل اسم الملك بطليموس وإشارات حكمه[29].

ولكن الإشكال المطروح الآن اختلفت حوله وجهات نظر المؤرخين هو مكان مقتل بطليموس والدوافع [30]فإن مقتل الملك بطليموس كان في شهر Gsellالتي أدتإلى قيام تلك الجريمة، فإذا أخذنا بما ذكره قزال على بلاد الجرمان وبلاد غالة Caligulaسبتمبر من سنة 40 م بعد حملات الامبراطور كاليغولا فرنسا). (

الفرنسية) كانت مكانا لضريح Lyon (مدينة ليون Lugudumبينما يرى كاركوبينو[31] أن لوقودوم آخر ملك موريطاني وهو بطليموس، وذلك أثناء الاحتفالات الكبيرة التي افتتحها كاليغولا [32] هناك، أي أن عملية مقتل بطليموس تمت قبل عودة كاليغولا إلى روما، وذلك خلال الأشهر الثمانية الأولى من سنة 40 م[33].

ويفهم من نصسويتونيوس[34] أن سبب مقتل بطليموس هوالغيرة، بحيث يذكر أن كاليغولا أثناء الاحتفالات التي أقامها لاحظ مدى إعجاب المشاهدين باللباس الأرجواني اللامع الذي ارتداه بطليموس، و يضيف ديون كاسيوس[35]أن كاليغولا علم بالثروة التي كان يتمتع بها بطليموس ففكر بقتله للاستحواذ عليها.

ربما يكون ما ذكرته النصوص القديمة حول سبب مقتل بطليموس صحيحا ولكن حسب معلوماتنا أيضا نجد أن كاليغولا قد قرر وضع حد لنظام الحماية الذي طبقته روما في عهد أغسطس وذلك منذ اعتلائه عرش الامبراطورية الرومانية سنة 37 م لأنه في رأيه الوقت قد حان للاستيلاء على المملكة الموريطانية التي أصبحت مهيأة للسيطرة الرومانية بفضل المستعمرات الرومانية التي أسسها أكتافيوس[36].

لقد عرفت موريطانيا على اثر مقتل ملكها بطليموس ثورة عنيفة بقيادة أيدمون Aedemon الذي وصفه بلينوس الأكبر Plinel'Ancien[37]أنه من المعتقين ويضيف نفس المؤرخ أن أيدمون أراد بذلك الانتقام لمقتل الملك بطليموس[38]و ربما أيضا أراد قبل كل شيء وضع حد للسيطرة الرومانية على موريطانيا لأن ذلك سوف يبقى له منزلته التي كان يتمتع بها في عهد بطليموس بحيث كان الشخصية الثانية في حكم البلاد وهو الشيء الذي سوف يؤهله على الفوز بالتاج الموريطاني من بعد بطليموس[39].

وقد تعرضت عدة مدن على اثر هذه الثورة للتخريب ومن بينها نجد تامودا Tamuda(تيطوان) طنجة Tingis،ليكسوسLixus(العرائش)ووليليVolubilis(قصر الفرعون)بشمال موريطانيا الغربية، ثم امتدت

الثورة إلي غاية جبال الأطلس حيث عمل أيدمون بمساعدة القبائل الرحل على مواصلة الحرب ضد الفيالق الرومانية[40]، وهو الأمر الذي تطلب من الإمبراطور كلاوديوس Claudius الذي خلفكاليغولا في 24 جانفي من سنة 41م إلى إرسال أكبر عدد ممكن من الجنود لقمع ثورة أيدمون،فتم استدعاء فرق عسكرية من مختلف المقاطعات الرومانية المجاورة لموريطانيا، وبالأخص من مقاطعة بيتيكا (جنوب إسبانيا) [41].هذه الأخيرة زودت الجيش الروماني بفرقتين عسكريتين هما: الفرقة الرابعة المقدونية cohorsIV Macedonia والفيلق العاشر جيمينا X légionGemina، وأغلب جنودهما من أصل منطقة بلاد غالة (فرنسا) خاصة، ويشهد النقش الذي اكتشف بعين تيموشنت بالغرب الجزائري إضافة إلى بقايا آثار لقبر رجل من بلاد غالة الذي عثر عليه بوليلي Volubilis بالمغرب الأقصى على مشاركتهما في العمليات الحربية لقمع ثورة المور[42]،و لم يتوقف دور مقاطعة إسبانيا عند ذلك، بل تلقت أمرا من الإمبراطور كلوديوس بتموين الجيش الروماني عن طريق البحر،و يبدوا أنها لم تستطع إنجاز ذلك، مما أدى بالإمبراطوركلاوديوس إلى معاقبة حاكمها[43].

و لم يتمكن الرومان من إعادة الأمن بموريطانيا إلا بعد سلسلة من الحملات التي تعود لما بين السنوات (40-43 م)تحت قيادة ثلاثة من قادة الرومان على التوالي، و نجد أولهم هو ماركوس ليكينيوسكراسوس فروجيMarcus LiciniusCrassusFrugعلى ما يذكر بلينوسالأكبر [44]،ويبدو أن هذا القائد قد استطاع إحراز النصر على أيدمونلأنه تحصل من الإمبراطور كلاوديوس على أوسمة الشرف[45].

و لكن هذا لا يعني نهاية الحرب بين المور و الرومان لأن أنصار أيدمون واصلوا من بعده التمرد ضدهم. فتواصلت بذلك الاضطرابات بموريطانيا مما أدى بالإمبراطوركلاوديوس إلي تعيين قائدا ثانيا وهو سويتونيوسبولينوسSuetonius Paulinus[46]هذا الأخير بعد أن استرجع الأمن بالمناطق الشمالية للبلاد زحف سنة 42 م نحو الجنوب لمعاقبة القبائل المتمردة [47]، وذلك إلي غاية جبال الأطلس الكبير التي وصلها بعد عشرة أيام من السير، ثم تعداها إلي غاية نهر غير Ger(يوافق حاليا نهر كير)[48] الذي ينبع من الأطلس الكبير الشرقي[49] ويعتبر بذلك حسب بلينوس الأكبر أول قائد روماني يبلغ هدا الحد[50].

ورغم تلك المجهودات التي بذلها سويتونيوسبولينوس فقد فشل في إنجاز مهمته وعين الإمبراطور كلاوديوس في مكانه قائدا آخر، وهو هوزيديوسجيطا HosidiusGéta ويبدو أنه قد واجه نفس خصوم القائد

السابق وبنفس المناطق الشبه الصحراوية والصحراوية [51]، فأغلبهم اذن من البدو

الرحل، وذلك وردت عند ديون كاسيوس" يتحملون العطش مدة طويلة "وكذا العبارة " استطاعوا بفضل معرفتهم لتلك المناطق الحصول بسهولة على الماء"[52].

واستطاع في الأخير القائد الروماني هوزيديوسجيطا قهر المور الذين كانوا آنذاك تحت قيادة الملك سبعلSabalusوبذلك أعاد الأمن إلى المنطقة، وعمل بعدها الإمبراطور كلاوديوس على اتخاذ تدابير إدارية جديدة، وذلك بإلغاء الإدارة المؤقتة بموريطانيا وتقسيمها إلي مقاطعتين رومانيتين يفصل بينهما وادي الملوية،وهما:مقاطعة موريطانيا القيصرية مركزها قيصرية Caesarea(شرشال) و مقاطعةموريطانياالطنجية مركزها طنجة Tingi،ولقد تم ذلك إما في نهاية سنة 42مأ و في بداية سنة 43م .

الهوامش

(1) Tite Live , Histoire Romaine , (17vol), TradNouv par A. J.liez , éd.C.l.f. Panckoucke , paris ,1830-1840 , XIXX, 29,7

Salluste, Guerre de Jugurtha , trad Richard (f.), éd. Garnier, paris, 1968 , XIX, 7(2

Ibid, XIX, (3

Carcopino, le Maroc Antique , éd .Gallimard, paris, 1948, p.29(4

Loc.cit(5

Gsell (Stéphane), Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord (8 vol), éd. Hachette, (paris , 1913 – 1928) , T. 8, p.156, (par suite : Gsell, H.A.A.N (6).

Ibid., Op.cit., p.200(7

Dion Cassius, Histoire Romaine , (10 vol), trad. Gros (E.) et Boissée (V.),éd.Fermin Didot, Paris, (8 1845-1870 ;

XLVIII, 45, 8

9)شنيتي (محمد البشير)، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، بحث في منظومة التحكم العسكري (الليمسالموريطاني) ومقاومة المور (2 ج)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص 45.

Gsell (S.), Op.cit., p 200; Carcopino (J.), Op.cit., p 30.(10

Pline l'ancien , Histoire Naturelle, Texte établi et traduit et commente par Desanges(J) , éd les belles (11 lettres, paris, 1980 ; V ,5.

Loc.cit.(12

Gsell (S.), Op.cit., pp 201-204; Carcopino (J.), Op.cit., p 31.(13

Plutarque, les Vies des Hommes Illustres, trad. Amgot,éd.Gallimard, paris , 1951, Cesar, LXXI(14

15)أنظرا حول تفاصيل حياة يوبا الثاني:Gsell(S) , H.A.A.N, T.8, pp 206-276.

Dion cassius , I, 5,6, 15,6; III, 26.(16

Carcopino (J.), Op.cit,p.171(17

Gsell (S.), Op.cit., p 214; Carcopino (J.), Op.cit., p 30(18

Gsell (S.), Op.cit, pp.214-215; Benabou.« Juba II Ou l'africanite vassale de Rome », les Africains, (19 (10 vol) , éd .J.A (paris, 1978), Tome 9 , p.147 .

Dion Cassius , IV,28(20

21)شنيتي (محمد البشير)، المرجع السابق، ص47.

Tacite, Les Annales , trad . Goelzer (H) , éd . Les Belles Lettres, (paris , 1938) , IV , 23 , 24, 25 ; (22 XI , 52.

23)لقد سك يوبا الثاني قطعتين نقديتين تحملان اشارات النصر المحرزة على تكفاريناس، الأولى تعود لمابين سنتي (18– 19 م) والثانية تعود لما بين سنتي (21–22 م)، أنظرا Mazard, Corpus NummorumNumidiaeMauretaniaeque , Arts et Metiers Graphiques, (paris , 1951) , p.90, N° 203 ; P.105 , N° 285-287:

Tacite, IV, 26.(24

25) Gsell (S.), Op.cit., p 211.

26) Mazard, Op.cit., p 127.

27) Gsell (S.), Op.cit., pp 280-283.

28) Suétone, Vies des douze Césars, (2 vol) , trad. Rat (M.), éd. Garnier, (Paris, 1913), Caligula, XXXV

29) Carcopino (J.), Op.cit,p.192

30) Gsell (S.), Op.cit.,p 285

31) Carcopino (J.), Op.cit,p.196

32) Suétone, Caligula, 17,30 ; Dion , LIX , 22, 1

33) Carcopino (J.), Op.cit,pp195-196.

34) Suétone, Caligula, 35

35) Dion Cassius, LIX , 25, 1

36) Cagnat (M.), L'arméeRomaine D'Afrique et l'occupation Militaire de l'Afrique sous les empereurs, éd. imp. nationale (paris ,1912), p.28

37) Pline l'Ancien , V, 1, 11

38) Loc.cit.

39) Rachet (M.), Rome et les berbères un problème militaire d'Auguste à Dioclétien, éd,Latomus , (Bruxelles, 1970) pp.127-128

40) محمد مقدون وعلي وحيدي، "سويتونيوسباولينوس والحرب الموريطانية الثانية بمنطقة تافيلالت "، جامعة مولاي على الشريف الحريفية، مركز الدراسات والبحوث العلوية الريصاني، الرباط 1989، ص369.

41) Rachet (M) , Op.cit, p.129

42) Covin (G), «Les relations de la France avec le Maroc", Hesperis, 1957, p 255

43) Dion cassius , LX, 24

44) Pline L'ancien , V , 11

45) Chatellin (L.), « Une inscription relative à la révolte d'Aedemon », CRAI, 1915, pp 394-395.

46) Pline l'Ancien , V,.14 – 16 , Dion , LX , 9

47) Cagnat, Op.cit., pp.30-31

48) Pline l'Ancien , V, 14 – 16

49) محمد مقدون وعلى وحيدي، المرجع السابق، ص373

50) Pline l'Ancien , V, 14 – 16

51) De la chapelle, « l'Expédition de SuétoniusPaulinus Dans le sud-est du Maroc » ,Hesperis , 1934 , p 110

Dion Cassius, IX, 9.(52